Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن التأويل البرهاني الذي ينهض به الراسخون في العلم والخواص يجب أن لا يوضع في الكتب الجدلية والخطابية حتى لا يطلع عليه الجمهور، لأن الخطابيين الذين هم الجمهور ليسوا من أهل التأويل أصلاً، ولأن الجدليين هم من أهل التأويل الجدلي. ومن يصرح بالتأويل البرهاني للخطابيين والجدليين فهو كافر، يقول ابن رشد: «والمصرح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر لمكان دعائه الناس إلى الكفر»[23]، وحكم ابن رشد هذا مستقى من التجربة التاريخية التي كان يعيش فيها العالم الإسلامي، لأن الفرق الإسلامية التي كان يكفر بعضها بعضاً نشأت من التأويل للشريعة من غير ضوابط عرفية وقوانين لغوية مما أدى إلى التباغض والحروب وتمزيق الشرع كل ممزق[24]، وكل الفرق هالكة إلا فرقة ناجية واحدة «سلكت ظاهر الشرع ولم تؤوله تأويلاً صرحت به للناس»[25].

الفرقة الناجية هي فرقة الراسخين في العلم وخواص العلماء تعلم ظاهر الشرع وباطنه لأنها تعلمت المقاييس المركبة في زمن طويل وصنائع جمة، ولأنها ذات فطر فائقة أحكمت القوانين البرهانية كالتحديدات والقياس وأنواعه وشروطه وتوظيفاته في الميادين المختلفة؛ ومن الراسخين في العلم وخواص العلماء ابن رشد. فقد أتقن قوانين البرهان ووظفها.

2 ـ نظرية الحد الأوسط:

من بينها نظرية التوسط التي حل بها مشاكل عديدة ـ وكذلك نظرية الطرف المحايد مثل ـ مشكلة قدم العالم، ومشكلة علم الله، ومشكلة طبيعة الخطاب القرآني، ومشكلة تأويل الخطاب القرآني... فقد رأى أن هناك ثلاثة أصناف من الموجودات هي الطرفان والواسطة بين الطرفين، أي هناك «القديم»، وهناك «المحدث» وهناك «العالم» وقد اتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة»[26]. وهذه الواسطة يكون فيها شبه من الوجود القديم، وفيها شبه من الوجود الكائن الحقيقي، وقد يغلب أحد الشبهين على الآخر، فإذا غلبت جنبة شبه الوجود القديم سمي «قديماً»، وإذا غلبت جنبة شبه الوجود الكائن الحقيقي سمي «محدثاً» كما أن

(23) ابن رشد، فصل المقال، ص 53.

(24) ابن رشد، فصل المقال، ص 55، والكشف، ص 182.

(25) ابن رشد، الكشف، ص 182.

(26) ابن رشد، فصل المقال، ص 41-42.